

## ليلى بعلبكي

### حضرت ولادة الفجر

الملاحم :  
من جوف الاضطهاد والتعذيب ، من سواد الظلم ، شق مارد  
عربي اسمر رحم الارض وهشى . نعم بهذه الحنجرة ، بحنجرتي  
العاجزة عن الصراخ ، شاهدته هكذا :  
يولد ويمشي .

هكذا باعجوبة ينقل قدما . يتوجه الى الامام ، يرفع القدم  
الاخري ويمشي . هكذا يتقدم الى الامام .  
اسألوا الوجه الذي كان يطفو فوق وجهي فوق الغمامة ، فهو  
الشهيد وهو الشاهد .  
فشهقت .  
لا .  
اسمعوا غيري نشرات الاخبار ونتائج المعارك والتحليل  
العسكرية .

الوجه يكبر . صرت أرى الرقبة والصدر عاليا يفرق في بركة  
الدم ، وتعرفت اليه تعرفت اليه . في هذا الشارع حدثت جريمة ،  
من الخلف اغتالوه . قطعوا البحر ، نزلوا الشاطئ ، تفلقوا في  
الزوارب الوسخة ، سعدوا السلام ، دقوا جرس البيت وذبحوه ،  
وعيون سكان المدينة حجارة رمليّة تنهار ، يسجدون لمعبودهم  
الضوف .  
فرجاء .

رجاء الى الذين يشعلون الآن الحرائق المقدسة في كل شبر في  
هذه الارض العطشى الى الشجاعة والفداء والكرامة ،  
الى الابطال الذين يتقدمون في الوديان والتلال والصحارى ،  
الى الرجال الذين عادوا الينا بعد زمن طويل بعيد من شتيمه  
الذل والمهانة ،  
اليهم اطلب ،  
اليهم رجاء ،

ان يرفعوا فوق جسد كمال ناصر قطعة من سلاحهم بهيئته  
وخشوع وشجاعة ، فتنبت فوق جسد الشهيد حقول الازهار ، ونعود  
فنشم في البراري رائحة الفار ، ويعود وينمو لنا فوق جبل الكرم  
شجر الزيتون .

الدستور

١٥ تشرين الاول

في البدء كان الوجه .  
وغطست في حلم لذيذ .  
صرت معلقة في الفضاء الرمادي . ولم أعد اعرف ولا أحس طعم  
الخبز على فمي . صقيع نائم سكن رؤوس أصابع القدمين واليدين  
ولم أعد أظأ البلاط ولا الاسفلت ولا التراب ، صرت سحابة .  
والوجه الذي كان في البدء يطفو على وجهي استطعت ان اشاهد  
فيه شروق العينين : نبعان من الضوء يتدفقان .  
آه .

لا تستفهموا مني عما أتحدث .  
امنحوني نعمة الهديان .  
أحاول ، أحاول ان ادلي بشهادتي .  
بصعوبة قاسية ، انسلخنا هذا اليوم ككل يوم عن مضاجعنا .  
وسجنا اجسادنا في الطرقات نفتش عن مآكل لنا ومشرب ، ودخلنا  
المراحيض وتدشانا ، وتبضعنا احذية جديدة . وليبرهن الرجل منا  
على انه رجل ، حلق بانقان شعر ذقنه . وكشفت النساء عن أذنائهن  
وكمنن أظنان الاحمر اكثر واكثر على الفم والافخاذ والاطراف .  
أحاول ان اشرح :

اتنا ، وفي السادس من شهر تشرين الاول ، وكان اليوم يسوم  
سبت ، والوقت بعد الظهر ، وبهاتين اليدين والعينين حضرت ولادة  
فجر .  
آه .

كانت هذه الارض تفرق في الظلمة والجفاف . وكان سكانها  
مجموعة من جذوع اشجار التين التسوس المهترى وكان المحصول  
فيها على مدار السنة ، كان المحصول دوما ، الذل والقهر والخسارة  
والانكسار .

واهتزت الارض قليلا . لم تمطر . وهاجرت الينا من جوانب العالم  
نسمات منعشة باردة ، وحده الغليان كان في صدفي .  
اجل ، أنقل اليكم ما رأيت . اكنموا انفسكم ، نادوا على كتاب

## على وجه الماء مشى حبيبي

أيها الحبيب ،

الذي أنت تقاتل ، الآن ، في أرضك الفسيحة الطيبة ، أنت في شرايين الجسد وفي مآقي العيون .

لاني متهوسة ..

لاني منهورة ..

لان فرحي بك صار جنونا ، دعني أركض اليك ، فانا ايضا صرت أتحرك وأنت تعلم اني ولدت كسيحة من أم كسيحة وأب كسيح .

دعني أخترق جدار الصوت . عبر الفضاء البعيد . أخترق أفواه الصواريخ المسننة . ألف بجسمي جسم الطائرات الصقح ، أحط في فوهة بندقيتك ، أتسلق سيفك المشحوذ ، أمسح حبات العرق عن جبينك وأصير لك حديفة مفروسة بأشجار التفاح والدوالي ، يعبر الليل فيها بطيئا ويطلع باكرا ضوء القمر وأصير أنا نبيلك والغني .

أيها المارد .

أيها الراحل .

انتظرتك عند شواطئ البحار على رأس صخرة . حدثت لحظة بالبحر ، وحلفت أن أراك تشق مياه البحر بسلاحك وتمشي على وجه الماء ، فاذا بك فعلا امامي تظهر على وجه الماء تمشي .

من أين تفجر الصوت في ؟

كيف استطعت أن تزيل أنت عن وجهي الركام والعفن ؟

كيف استطعت أن تعيد اليّ نظري ؟

ها أنا أبصرك آتيا والبحر الابيض المتوسط يعجّ بالفواصات ، بالمدرعات ، بحاملات الطائرات ، بالسفن التجارية ، بالاسماك ، بالصيادين ، بالاصداف ، بالحشائش الناعمة ، بالشفق ، وأنت هو النسيم عابر المسافات والمخاطر رأيتك آتيا .

أشعر ببرد المفاجأة اللذيذ وقبل ان أنسى ، اوصتني المعجّز ان أنقل اليك دعاءهن وانهن يحكن لك جوارب الصوف لايسام الشتاء القاسية .

ثم دعني أخبرك أيضا اننا نذكرك هنا ولا زلنا نطبخ ، وناكل ، نقشر الثوم والبصل ، نغسل أقدام الاطفال ونشرب ، وبحماس أكثر ، نندفع الى اعمالنا ، نسكر لمأذانسك ، نبكي ونحسّ الوجع بك نقفز طربا وبكل الوقاحة نظهر بين الناس بعد ان خلطنا عنا ثياب التحفظ ، ولا يخجلنا أبدا ان نستمر في روتين حياتنا ، فحياتنا هذه هي عظام ظهرك ، نحن الرحم الذي تنمو أنت فيه وتتوالد . اصغ اليّ ،

يوم حملت بطني ، بعد حرب الانكسار المشؤومة ، حملت بطني التورم ودخلت باب دمشق ، يومها مات حبيبي .

فتشت عن حبيبي الميت في الوجوه المحروقة بالنابالم ، في العيون المتوجعة . فتشت عن حبيبي في ثياب القادة . فتشت عنه في اعلانات الصحف اليومية المبوبة . فتشت عنه في الكلام الكاذب . فتشت عنه في الخطابات . في روائح الخيانات والجبن . فتشت عنه في عيون الاطفال . وجدته في عيون الاطفال مدفونا .

فكيف استطعت أيها الساحر أن تبعث حيا هكذا حبيبي ؟

مدّ لي أيها الرجل ذراعك لاتسلل في جرحك وتفجر .

اللدستور

٢٢ تشرين الاول

## أيتها الدبلوماسية : نارنا لا تطفئها

أسمع لفظا .

أسمع قدوم خطوات الدبلوماسية .

فايتها الدبلوماسية التي أنت في الصفة الاخرى من العسالم ،

أشعلنا النار .

لان السلام الذي قبلناه مرارا ، فأدخلناه صدورنا وأسكنناه النخاع ويؤبؤ العين ومزجناه في ملح الطعام في الماء ، هذا السلام خدعنا .

معبودك السلام هذا ، أيتها الدبلوماسية المتربسة على عرش العالم ، من شدة ما التصقنا به ، وأمنا ، صار السلام مرضا خبيثا تشعب في الاطراف والعظام والشرايين والسام ، وصار يقتالنا على مهل في صمت رهيب . وصرنا نهترى ، نسقط جثنا تتصاعد منا روائح الأبخزال ، ويتلذذ العالم في المشي في بطوننا والبصق ، ويتفنن في اختراع الشتائم الموجهة لنا والامانات ، مشجعا اسرائيل على التكيل بنا وتعدينا وقتلنا والإفناء . حتى صار السلام عارا نحمله على جباهنا نحني من ثقله رقابنا ، يعاقبنا العالم ، لاننا قبلناه ، بضرب متواصل على قفانا .

النار .

النار ، النار ،

فجرناها النار وتفجرنا فيها ، لان الوجع لم يعد يحتمل ، ولان الغضب وصل فينا الى ذروة الجنون ، وحين أعلن نيا اطلاق النار ، لم نصدق آذاننا ، هكذا جمدنا قليلا ، ثم ذهبنا ، ثم تلفتنا حولنا حذرا ، ووصلت الى أنوفنا روائح الاحتفالات المقدسة ، ولفج وجهنا ربح ملتهب ، فصرخنا وفقرنا في الهواء ، صرخنا ان النار صارت مملوسة ، صارت غير مستحيلة ، ورمينا جميع الاشياء في النار ، ونفختنا فيها فازدهرت ، وأطعمناها اناث المنزل وغصصون الاشجار ولعب الاطفال وباقات الزهر ، وحملنا بعضنا بعضا وتقدمنا ننحني ، نرمي بعضنا بعضا في اللهب ، نترنج طربا نزرعد نرفع الذبايح في الهواء ، نرمي اغلى الرجال واحلى العرائس ، ثم ندور نرقص رقصة الموت الرهيب ، ونسجد للدار نطعمها ذريتنا والعشب ، نحلم اخيرا بالخلاص ، نحلم بالخلاص ، بخيمة وحيدة في الصحراء مع الكرامة وضوء القمر .

أيتها الدبلوماسية ،

نخاطب قفازانك البيضاء ، نخاطب فيعتك الرزينة ، مفروس على حافتها ريش النعام ، نخاطب القمصان البيضاء المشساة ، نخاطب الاحذية النظيفة اللماعة ، نخاطب كلامك المنوق ، نخاطب افكارك الباردة ، نخاطب ما تدعين من ايمان بالسلام ، هذا السلام الذي كان بالاس جرنومة وخديعة ، أيتها الدبلوماسية المهمة .

لا تقربي نارنا ، لا تطفئها ، لا تدنسيها ، فهي مطهرنا والخلاص . وزمن القلوب الطيبة حتى الغباء قد ولي .

اكشفي لنا ، أيتها الدبلوماسية العريفة ، اكشفي عن وجهك .

فنحن نخاف ان يكون خلف المحجّاب الرقيق المسدل وقارا على وجهك ، ان يكون وجهك وجه غولما مائير ،

واغفري لنا أيتها السيدة الفاضلة عدم الثقة .

اللدستور

٢٩ تشرين الاول